

الطبيعية ، أمة نموذجية لما يجب أن يكون عليه العالم تحت سلطان الأصول الخلقية ، والآداب النفسية ، لا تحت حوافز الحاجات المادية والضرورات الماشية .

إن اجتماع القبائل لأجل أن تقوم من مجموعها أمة ، ليس بالأمر الشاذ في تاريخ البشر ، وإن كان يستدعي مقتضيات كثيرة ، وآماداً طويلة ، فإن الحاجات الحيوية ، والمطالب المادية كثيراً ما تدعو إليه وتحتّمه . فالموامل التي اضطرت الأفراد إلى الاجتماع على هيئة قبيلة لتأمين حياتهم ، وضمان معاشهم ، هي نفسها التي تضطرنك الجماعات الصغيرة إلى التآلف والتضامن لتأليف أمة . وإذا كانت هذه الموامل تضطر بعض الحيوانات لتأليف جماعات منها لتعاون على تدليل العقبات التي تحول بينها وبين ما هي في حاجة ماسة إليه ، فلا محل للتعجب من حدوث ذلك في العالم الإنساني ، ولكن العجب كل العجب أن تتألف أمة تحت سلطان أصول خلقية ، وآداب نفسية ، ومبادئ عالية ، لم تقم عليها أمة من قبل حتى ولا في عهد الرسالات الدينية في مثل هذه البرهة القصيرة التي تألفت فيها الأمة الإسلامية

إلى حفظ الجزئيات التي لا تتناهي ، وانتهى السمر ولم تقض نفسه من طلب منها ، ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها في الكليات ، واتحد عنده ما تناقض عند غيره .

والأستاذ الأكبر الراغب يرى هذه الطريقة واجبة فيقول في مذكرته التي جعلها برنامجاً لإصلاح الأزهر منذ سنة ١٩٢٨ ولم ينفذها : « يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام النصوص عليها في الكتاب والسنة ، والأحكام الجمع عليها ، والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والبرف وأمزجة الأمم كما كان يفعل السلف من الفقهاء » وإني في مطلع هذا العام المبارك أسأل الله أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً ، وأن يوفق الأزهر الذي هو حصن الدين والعلم والفقه إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين محمد محمد الحنفي

تذكرى الهجرة

للأستاذ محمد فريد وجدي



إننا إن ذكرنا
هجرة النبي صلى الله
عليه وسلم إلى
يثرب في العام
الثالث عشر من
الرسالة المحمدية ،
وجب علينا أن
نذكر أنها كما
كانت فاتحة عهد
جديد للدهوة
الإسلامية ، كانت
كذلك مقدمة

لقيام أمة عالمية ، تألفت من طريق الإيجاز على غير السنن

ما يشكر عن بيئة وخص وروية وإعمال فكر وإدمان نظر ، ثم ينظر في قاعدة أخرى على هذا النحو ، وقد ذكر العلماء كثيراً من هذه القواعد كقولهم : « المشقة توجب التيسير » ، « الضرر يزال » ، « المادة محكمة » ، « تصرف الإمام على الرعية منوط بالصلحة » ، « الخراج بالقبض » ، « الوسيلة والمقصد » ، « ما يؤثر فيه الضرر وما لا يؤثر » ، « اليقين لا يزول بالشك » . الخ وقد دعا إلى هذه الطريقة الفقيه المصري « شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ » ثبت كثيراً من القواعد الفقهية في كتابه « الذخيرة » ثم ألف كتابه الجامع المعروف « بالفروق » وفي مقدمته يقول :

« وهذه القواعد مهمة في الفقه ، عظيمة النفع ، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه ويشرف ، ويظهر رونق الفقه ويعرف . ومن جمل يخرج الفروع بالناسبات الجزئية دون القواعد الكلية تناقضت عليه الفروع واختلفت ، وتزلزلت خواطره فيها واضطربت ، وضاقت نفسه لذلك وتقطعت ، واحتاج

قاطبة ، ولا تنفق وما طبعوا عليه ، وأشربوه من العصية الجاهلية ، كبداً التوحيد في العقيدة ، ومبدأ المساواة بين الأجناس البشرية ، وبداً التفاخر بالآباء ، والمباهاة بالمقامرات الحربية ، وبصرفها إلى العمل على تطهير القلوب بالمجاهدات النفسية .

- هذا تطور عجيب في ذاته ، وأعجب منه أن يكون في بيئة كل ما فيها يدعو إلى التمويل على الوسائل المادية ، والإخلاد إلى الحياة الأرضية ، وأدعى للمعجب منهما أن يتم ذلك التطور طفرة ، وهو لا ينشأ عادة إلا بعد تطورات متوالية ، وظروف مواتية قلنا في مقدمة هذه المقالة أن تأليف هذه الجماعة كان مقدمة لقيام أمة عالمية جعلت نموذجاً لما يجب أن نكون عليه الأمم ، بعد أن تبلغ من التطور حداً يسمح لها أن تقوم على مثل ما قامت عليه من الأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية . فإذا صح ما يقال من أن الحياة الإنسانية أصبحت في حاجة إلى مقومات اجتماعية غير التي تقوم عليها اليوم ، تنفق ومقررات العلم ، وتتلهم وما هدى إليه البشر من الأصول الإنسانية ، بحيث تبطل بالقيام عليها الحروب ، ويتم بينها التعاون على توفير الخير لجميع الشعوب ، فلا سبيل إلى ذلك إلا باستبدالها الأصول الأدبية ، والمبادئ الخلقية ، بالأصول المادية البحتة التي تقوم عليها . وقد آتسنا في غضون هذه الحرب العالمية المستمرة أن التفكير أخذ يتجه صوب هذا التطور العظيم ، بإقامة الصلح على قواعد إنسانية تسمح لكل شعب أن ينال حظه من المواد الأولية ، وأن يعيش على قدم المساواة مع غيره من سائر الشعوب الأرضية . وهذه من مبادئ الدولة النموذجية التي كانت الهجرة النبوية قائمة لإقامتها

فإذا احتفل المسلمون بيوم الهجرة وجب أن يذكروا معها أن هذا اليوم كان بدء إقامة الدولة الإسلامية التي بانئت من امتداد السلطان ، وروثق الدنيا ، وزعامة العلم والسياسة إلى ما لم تبلغه أمة قبلها ، وشيدت للمبادئ الإنسانية صرحاً لن يرال قائماً ما دامت الحياة الأرضية .

محمد فريد ومحمد

إن كل العوامل التي عملت لتأليف الأمة الإسلامية ، ليست من جنس العوامل التي دفعت لتأليف الجماعات البشرية ، فقد جرت السنة الطبيعية في تأليف الجماعات العظيمة ، أن تنتدب قبيلة كبيرة تحت قيادة زعيم معترف به ، لدعوة القبائل المجاورة تحت حافز قوى من مطلب أو مطالب مسلم بضرورتها لدى الكافة للقيام بتحقيقها ، فتحدث أولاً بينها اتفاقات جزئية مع حفظ كل منها لاستقلالها الذاتي ، ثم تأخذ هذه الاتفاقات في التطور تحت تأثير الحوادث الاجتماعية ، فتسقط موجبات التخالف بين هذه الجماعات الجزئية شيئاً فشيئاً حتى ينتهي الأمر باندماج بعضها في بعض ، بعد مرور آماد طويلة . ولكن الأمة الإسلامية قامت على غير هذه السنة الطبيعية فبدأت بدعوة رجل واحد إلى عقائد ومبادئ غير مسلم بها من الكافة ، بل كان قومه وعشيرته الأقربون أشد معاداة لها من غيرهم ، وتبسه أفراد منهم لا يفتنون عنه ولا عن أنفسهم شيئاً . ثم اتفق أن تأثر بدعوته أفراد من قبيلتين في مواطن بعيدة عن موطنه ، تولوا دعوة ذويهم فقبلها كثيرون منهم . وهنا يجب أن يعلم أن العرب الجاهليين لم يكونوا يأنهون بتمحيص القائد ، ولم يتنادوا أن يقتبسوا شيئاً من غيرهم ، بل كانوا يأنفون أن يخضعوا للزعيم من غير قبائلهم ، بله أن يمينوه على قومه ويستجلبوا بذلك على أنفسهم عداوة قبيل ليس بينهم وبينه تاريخ قديم ، ولا سخائم موروثة

فلما هاجر النبي إلى موطن هؤلاء الذين قبلوا الدخول في دينه ، احتفلوا به أيماء احتفال ، وخولوه الزعامة عليهم ، وعاهدوه على أن يحموا دعوته وينالوها عنها بأموالهم وأنفسهم . وانتشر الإسلام في تينك القبيلتين يثير وبها بنو الأوس وبنو الخزرج ، حتى لم يبق بيت فيهم لم يصب أهله إليه

تطور غريب لم يعد له شبه في عالم الاجتماع البشري : جماعتان كانتا بالأسس على الوثنية قبلان ديناً ليس بين دينهما وبينه أقل شبه ، ومناقض لما نشأنا عليه كل المناقضة . وليس ذلك فحسب ، بل يدعو إلى أصول ومبادئ كان يعتقد العرب